جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم النحو والصرف والعروض

بِنَاءُ الجُمْلَةِ فِي شِعْرِ ابْنِ سِنَان الْخَفَاجِيّ

دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ

إعداد الطالب:
عبدالله محمد الجعكي

إشراف الأستاذ الدكتور:
شعبان صلاح
و د. مصطفى عراقي

العام الجامعي: 2012/2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي

صدق الله العظيم

سورة طه الآيات: 25، 26، 27، 28 .

الإهــداء

إلى روح والدي العزيز رحمه الله ،

إلى روح شيخي الجليل الشيخ الدكتور مصطفى الصادق العربي ،

إلى أرواح شهداء ثورات الربيع العربي

أهدي هذا العمل .

شكر وعرفان

الحمد لله وحده، والشكر لله شكرا يوافي نعمه، هو القائل في محكم كتابه: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [1]، والصلاة والسلام على أشرف الخلق القائل: "لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس" [2]

وبعد،

فإنني أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي العالم الجليل الدكتور شعبان حسين صلاح الذي أثرى هذا البحث بملاحظاته وتصويباته الدقيقة القيمة التي كان لها الأثر الواضح في هذا العمل.

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذي الدكتور مصطفي عراقي الذي أمدني بنصائحه وإرشاداته في تواضع العلماء.

كما أتقدم بالشكر إلى أستاذيّ عضوي لجنة المناقشة لما سيبذيانه من ملاحظات قيمة ستلقى ــ بعون الله تعالى ــ أذنا صاغية وقلبا واعيا، ويكون لها أثرا ملموسا في هذا العمل، فألهمهما الله الصواب، وجزاهما عني خير الثواب.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة القاهرة على ما لمسته منهم من معاملة طيبة متواضعة.

كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد السلام ابشيش الذي كان له فضل الإشراف علي في مرحلة الماجستير، بل له الفضل على مدينة الخمس بأسرها، فهو من كان سببا في افتتاح الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعتها.

كما أتقدم بالشكر إلى شعب ليبيا الحر الذي منحني فرصة الدراسة بهذه الكلية العريقة.

وأخيرا أتوجه بالشكر إلى أسرتي التي صبرت معي طيلة سنوات البحث.

والحمد والشكر لله أولا وأخيرا

---

[1] ــ سورة إبراهيم: من الآية 7.

[2] ــ شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت ط1/ 1410 هـ: فصل في المكافأة بالصنائع: 6/ 516.

المـــــقدمـــــة

الحمد لله القائل في محكم كتابه:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1]، وصلوات الله وسلامه على نبيه القائل: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة". [2]

ثم إنه لمن دواعي الفخر لي أن سخرني الله لأن أكون ممـــن يحـــاولون مـــا استطاعوا أن يجدوا لأنفسهم مكانا في خدمة لغة القرآن.

وإنه لمن دواعي الفخر لي أن منّ الله علي بالالتحاق بهـــذه القلعـــة العلميـــة الشامخة التي نراها نحن في بلاد المغرب العربي منارة من اهتدى بنورهـــا فقـــد فاز، ومن دخل باحاتها والتقى أساطينها ونهل من عذبها فقد ارتوى.

وإنه من دواعي الفخر لي أن ألهمني الله تعالى إلى دراسة شعر هذا الـــشاعر العملاق الذي ظُلم حيا، وظلم ــ شاعراً ــ ميتا.

وتتوالى النعم ولا أحصيها.

وبعـــــد:

فإن الاهتمام الكبير الذي توليه هذه الكلية الأصيلة للدراسات النحوية التي تربط النحو بالمعني قد أزاح عن النحو جموده، ونأي به عن التقوقع والتعليل المنطقـــي، وأعاده إلى عصر ازدهاره، حيث كان يتعانق مع المعني، ويشكلان جسما واحدا، فما النحو عند العمالقة من العلماء الأوائل أمثال سيبويه والجرجـــاني إلا جـــسم لا حياة له بدون المعنى، وما هذه الدراسة التي أقدمها لكـــم إلا واحـــدة مـــن هـــذه الدراسات التي تشكلت ونمت وأثمرت بعون الله في باحات هذه الكلية العريقة.

ويقوم هذا البحث على دراسة **بناء الجملة في شعر الخفاجي دراسة نحوية دلالية** ومما دعاني إلى التوجه إلى هذه الدراسة إيماني العميق بضرورة النأي عن دراسة النحو وتدريسه بالأساليب التقليدية التي تعتمد على الترديد والتلقين لقواعد قـــد لا

---

(1) سورة المجادلة: من الآية 11.

(2) صحيح مسلم ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث. العربي بيروت: باب الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر: 4/ 2074.

يفقه المتلقي منها شيئا، ولا يستطيع تطبيقها والإفادة منها في تحليل النصوص، فهذه الدراسة الجامدة لا تخدم النحو بقدر ما تضره حيث جعلت منه مادة صعبة غير مقبولة، ومحاولة مني في الاستفادة من خبرات هذه الكلية الرائدة اخترت هذا النوع من الدراسة.

أما عن اختيار شعر الخفاجي ليكون موضوعا لهذه الدراسة فيرجع إلى كون هذا الشاعر هو ناقد من النقاد المشهود لهم والبلاغيين المعروفين، ولا يخلو ذلك من تأثير على شعره، كما أن هذه الدراسة جاءت لتسهم في التعريف بالخفاجي الشاعر، فقد عُرِف الخفاجي علما من أعلام البلاغة، وقل أن ذُكر شاعرا.

واعتمدت في هذه الدراسة على ديوان الخفاجي بتحقيق: د.مختار الأحمدي، ود. نسيب نشاوي ، واتبعت في هذه الدراسة منهجا يجمع بين الوصف والتحليل والاستنتاج، حيث قمت باستقراء أشكال الجمل وأنماطها في شعر الخفاجي، ثم حددت عناصرها ووظائفها، واجتهدت في الوقوف على الأسرار الكامنة في بنائها.

ومرت الدراسة بمراحل مختلفة، وهي مرحلة الاستقراء العام، وفي هذه المرحلة اطلعت على الديوان اطلاعا عاما مكنني من معرفة الجمل التي تشكل ظواهر يمكن دراستها في شعر الخفاجي، وعلى أساس هذه المرحلة بنيت البحث، وقسمته إلى فصوله، ثم في كل فصل كنت أعيد استقراء الديوان لاستخراج الأمثلة التي يتشكل منها الفصل، وبعد كل استقراء كنت أجمع المادة العلمية الخاصة بالفصل، وذلك من كتب النحو والبلاغة، ثم تجيء مرحلة التطبيق في كل فصل، وفي هذه المرحلة تتبعت الأسرار الدلالية الكامنة وراء البناء محل الدراسة.

وواجهت البحث صعوبات جمة بعضها راجع إلى موضوعه، وبعضها راجع إلى أسباب تخصُّ الباحث، وبعضها راجع إلى أسباب سياسية، أما ما يخص الموضوع فله شقان: أسباب ترجع إلى الموضوع العام وهو دراسة بناء الجملة، حيث إن هذا الموضوع متشعب جدا، يخوض في أبواب النحو المختلفة، وينتقل بك فجأة من باب إلى باب، ويتطلب الوقوف على الأسرار البلاغية الكامنة وراء كل بناء، مما يتطلب فهم المعنى بدقة، والرجوع إلى المعاجم وكتب البلاغة في مواضيعها المختلفة، وهذا جعل من الضروري الرجوع إلى كمّ كبير من أمهات كتب النحو

والمعاجم وكتب النحو الحديثة، والرجوع إلى كتب البلاغة والنقد، أما الشق الثاني فيرجع إلى ديوان الخفاجي، وذلك لضخامته حيث حوى ما يقارب ثلاثة الآف بيت.

أما الصعوبات الخاصة بالباحث فتكمن في الظروف الاجتماعية المتمثلة في كبر الأسرة ــ والحمد لله ــ ومتطلباتها اليومية، ويضاف إليها ترابط المجتمع البدوي الليبي.

أما الصعوبات السياسية فتكمن وراء ثورات الربيع العربي، فإن كانت هذه الثورات قد أتت على هذا الوطن بالخير إن شاء الله تعالى، فإنها كانت من العقبات التي وقفت في وجه هذا البحث، فقد تعثرت الدراسة في أثناء تلك الحقبة لأسباب أمنية ونفسية، وأصبح من الصعوبة بمكان الانتقال من بلد إلى آخر.

ولكن من يتكل على الله فهو حسبه، فقد أعانني الله ووفقني إلي أن أصبر وأجد وأجتهد حتى أنهي هذا البحث في صورته هذه التي ما ادّخرت جهدا في سبيل الوصول إليها.

وقد جاءت هذه الرسالة في خمسة فصول سبقها تمهيد ومقدمة، وتلاها ملحق تطبيقي وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد أشرت فيها إلى أسباب اختيار الموضوع ، وطريقة البحث فيه والصعوبات التي واجهته، و البناء الذي تشكل منه.

و**أما التمهيد** فقدمت فيه لمحة مختصرة عن الشاعر "ابن سنان الخفاجي، وديوانه، والدراسات السابقة حول الشاعر وشعره، وحول الموضوع.

أما **الفصل الأول** فتناول الجملة في شعر الخفاجي ودرسها من حيث البساطة والتركيب، وتقسيم الجملة بهذا الاعتبار يرجع الفضل فيه لأستاذي المشرف، فهو من أشار على بذلك، وقسمت الجمل في هذا الفصل إلى جمل بسيطة وجمل مركبة، وقسمت الجملة البسيطة إلى جملة قصيرة وجملة مطولة، وتحدثت في الجملة المركبة عن علاقات التركيب المختلفة.

أما **الفصل الثاني** فقد تناولت فيه ظاهرة الحذف في شعر الخفاجي ودورها الدلالي، وقسمته إلى حذف الأسماء وحذف الأفعال وحذف الحروف وحذف

الجمل؛ ولم أتناول في هذا الفصل ظاهرة الزيادة؛ لأنها كانت قليلة الـــورود فـــي شعر الخفاجي، تكاد تنحصر في زيادة بعض الحروف، وقد تناولت هذه الحروف الزائدة عند الحديث عن التأكيد عـــن طريـــق الحـــروف الزائـــدة، وذلـــك فـــي فصل الأساليب.

أما **الفصل الثالث** فقد تصدّى لظاهرتي التقديم والتأخير، ودورهما الدلالي في شعر الخفاجي، وقسمته إلي: التقديم والتأخير في العناصر المؤسسة للجملـــة، والتقـــديم والتأخيرفي العناصر غير المؤسسة.

أما **الفصل الرابـــع** فخصصته لظاهرتي الفصل والاعتراض، وتناولت فيه مواضع هاتين الظاهرتين ودورهما الدلالي في شعر الخفاجي.

أما **الفصل الخامس** فتناولت فيه الأساليب النحوية في شعر الخفاجي، وقسمتها إلى أساليب نحوية خبرية، وأساليب نحوية إنشائية، وتناولت في كل قسم أبرز الأساليب وأكثرها ورودا في شعر الخفاجي.

هذا وقد افتتحت كل فصل من تلك الفصول بتوطئة تُعدُّ بمثابة الدراسة النظريـــة لكل فصل.

أما الملحق التطبيقي فتناولت فيه قصيدة من قصائد الخفاجي بالتحليل والتطبيـــق، حيث طبقت عليها ما تناولته في فصول البحث.

ــ وأخيرا جاءت **الخاتمة** فوضحت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ــ وتسهيلا على القارئ فقد وضعت للبحث **فهارس** شملت: فهرسا للآيات القرآنية الواردة في البحث، وفهرسا للشواهد النحويـــة ، وفهرســـا للمـــصادر، وفهرســـاً لموضوعات البحث.

التمـهـيد:

ويشمل: التعريف بالشاعر وديوانه، والدراسات السابقة حول الشاعر والموضوع.

***أولاً:* التعريف بالشاعر وديوانه:**

1ــ التعريف بالشاعر:

ــ اسمه، ونسبه:

هو الأمير الشاعر الأديب أبومحمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن يحي بن الحسين بن محمود بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي. [1]

ونجده قد سجل بعض أسلافه في قوله:

سَقَى **الرَّبِيْعَ** رَبِيْعٌ جَادَ هَاطِلُهُ بِكُلِّ أَسْحَمَ صَافِي الذَّيْلِ هَطَّالِ[2]

وَخَصَّ رَمْسَ **سِنَانٍ** مِنْ مَواهِبِهِ بِبَارِدٍ كَسُلافِ الخَمْرِ سَلْسَالِ

فَقَدْ أَعَانَا عَلَى زُهْدٍ بِمَيْسَرَةٍ وَأَغْنَيَانِيَ عَنْ شَدٍّ وَتَرْحَالِ

أما نسبه فقد أشار إليه في قوله ــ هاجيا مفاخرا ــ :

تُحَاذِرُ أَنْ أَسُبَّكَ يَا بْنَ سَلْمَى كَأَنَّ أَبَاكَ فِي حَسَبٍ كَرِيمِ [3]

وَبِالشَّهْبَاءِ مِنْ **حَزْنِ بْنِ عَمْرٍو** بُيُوتٌ مَا رُفِعْنَ عَلَى لَئِيْمِ

إِذَا مَا شِئْتُ هَبَّ إِلِيَّ مِنْهَا مُذَرَّبَةُ الأَسِنَّةِ كَالنُّجُومِ

وحزْن بن عمرو الذي ذكره في البيت هو ((حزن بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة)) [4] .

فحزن هذا هو أحد فرعي خفاجة، قال صاحب اللباب: ((وخفاجة في هذه الأعصار لا تعرف غير قبيلتين: حزني وكعبي)) [5].

---

[1] ــ أخباره في: فوات الوفيات ، تأليف: محمد بن شاكر الكتبي، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1 / 1974: 2 / 220 ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ المطبعة العلمية بيروت ط1: 2/ 201 ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف جمال الدين أتابكي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس: 5 / 96 ، معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة دار إحياء التراث العربي بيروت 6 / 120.

[2] ـ الديوان: 388.

[3] ـ الديوان: 497.

[4] ــ اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار صادر بيروت : 1 / 363

[5] ـ السابق نفس الصفحة.

أما والدته فهي من بني تميم، ويمكن معرفة ذلك من قوله ــ من قصيدة قالها في صباه ــ:

أَفِي فَضْلِي يُبَارِيْنِي غَوِيٌّ وَأَيْنَ الوَجْهُ يُبْذَلُ للسُّهُومِ [1]
ضَلاَلَكَ مَا نُسِبْتَ إِلى سِنَانٍ وَلاَ ضَرَبَتْ خؤُولُكَ فِي **تَمِيمِ**

ــ مولده ونشأته:

لم أعثر في المصادر التي تحدثت عن ابن سنان ما يحدد سنة ولادته، ولكن ذكر ياقوت الحموي أنه كان شابا يناهز العشرين سنة 440 هـ ، حيث قال: ((قرأت في رسالة كتبها ابن بطلان المتطبب إلى هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في نحو سنة 440 في دولة بني مرداس، فقال: دخلنا من الرصافة إلى حلب في أربع مراحل، وحلب بلد مسور بحجر أبيض، وفيه ستة أبواب، ....، وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن سنان، قد ناهز العشرين، وعلا في الشعر طبقة المحنكين، فمن قوله:

إِذَا هَجَوْتُكُمُ لَمْ أَخْشَ سَطْوَتَكُمْ وَإِنْ مَدَحْتُ فَمَا حَظِّي سِوَى التَّعَبِ[2]
فَحِيْنَ لَمْ أَلْفِ لاَ خَوْفاً وَلاَ أَمَلاً رَغِبْتُ فِي الْهَجْوِ إِشْفَاقاً مِنَ الْكَذِبِ)) [3]

كما أن لنا في شعره ما نقرب به عام ولادته، و ذلك قوله من قصيدة كتب بها إلى الشريف الهاشمي في معتقله سنة أربعين وأربعمائة:

سَبَقْتُ وَمَا بُلِّغْتُ عَشْرًا كَوَامِلاً فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوزْتُهَا بِثَمَانِ[4]

وهذا قريب مما ذكره الحموي، ولعل ما ذكره الخفاجي من أنه جاوز العاشرة بثمان تقريب لمراعاة القافية، إذ لو قال: جاوزتها بعشر لما استقام له الوزن والقافية.

وهذا يجعلنا نطمئن إلى أنه ولد سنة 420 هـ أو قريبا منها.

أما نشأته فإن الكتب التي اطلعت عليها مما تحدثت عن هذا الشاعر لم تشر إلى طفولته، ولا إلى أي من أسرته الأقربين، فلم أعرف له إخوة، ولم أتمكن من

---

[1] ـ الديوان: 275
[2] ـ الديوان: 314.
[3] ـ معجم البلدان تأليف: ياقوت بن عبدالله الحموي – دار الفكر بيروت: 2 / 283.
[4] ـ الديوان: 321.

معرفة علاقته بوالده، ولكن المرجح أن والده مات مبكرا قبل أن ينطق الخفـــاجي بالشعر، وإلا كان رثاه، كما أن شعره يخلو من ذكر هذا الوالد، اللهم إلا بيتا قالـــه في مدحه، وهو قوله ــ من قصيدة قالها في صباه ــ:

أَنَا ابْنُ مَنْ لَمْ يَدَعْ ذُخْراً لِوَارِثِهِ إِلاَّ الجِيَادَ وَسُمْراً ذَاتَ زَعْزَاعِ [1]

ولعله لم يقصد به والده المباشر.

والذي يظهر من شعره أنه عاش في صراع مع عشيرته ، لأن له نفـــسا تواقـــة للمجد ، ولم يرض بحياة الدعة التي كانت تحياها القبيلة، مما جعله يرتحل وينـــأى بنفسه عنهم، يقول في نفس القصيدة السابقة:

بَلِّغْ خَفَاجَةَ عَنِّي إِنْ مَرَرْتَ بِهَا وَنَادِهَا لاَ أَجَابَتْ دَعْوَةَ الدَّاعِـــي[2]

يَا خَيَّبَ اللهُ مَنْ يَـــرْجُو نَوَالَكُمُ كَـــمْ تَمْنَـــعُونِيَ آمَالِي وَأَطْـــمَاعِي

وَتَلْبَسُونَ الهُوَيْـــنَا وَابْـــنُ عَمِّكُمُ فِـــي سَاحَةِ الذُّلِّ مَقْذُوفاً بِجَعْجَاعِ

ظَـــنَنْتُمُ المَـــجْدَ أَذْوَاداً مُهـــمَّلَة وثُلَّةً صَاحَ فِي أَرْجَـــائِهَا الرَّاعِي

فَـــرَوَّعَ اللهُ جَـــارِي إِنْ جَزَيْتُكُمُ إِلاَّ بِـــمُنْصَلِتٍ كَـــالنَّجْمِ قَطَّـــاعِ

ويقول في نفس هذه القصيدة الثائرة:

ذَنَبِي إِلَى القَوْمِ أَنِّي مَا حَمَلْتُ لَهُمْ قَـــلْبَا ذَلِيْلاً وَكَفّا غَـــيْرَ مِضْيَاعِ[3]

وهكذا يقضي مرحلة الشباب حائرا لا يقر ولا يهدأ، يقول من قصيدة قالهـــا فـــي صباه:

فُـــؤَادٌ مَـــا يَقِـــرُّ مِـــنَ الوَجِيْبِ وَدَهْـــرٌ لاَ يَجُودُ عَـــلَى لَبِـــيْبِ [4]

وَجَـــفْنٌ تَحْسِبُ العَبَـــرَاتِ فِـــيهِ سَحَائِبَ يَخْتَصِمْنَ عَـــلَى قَلِيْبِ

وَهَلْ عَلِمَتْ بَنُو حَزْنِ بْنِ عَمْرٍو إِبَايَ عَلَى مُشَاوَرَةِ الـــخُطُوبِ

وَأَنَّ الـــدَّهْرَ أَبْـــقَى مِـــنْ قِرَاعِي كَمَا أَبْقَى الضِّرَابُ مِنَ الغُرُوبِ

وَأَنْـــزَلَ أُسْـــرَتِي بِـــمَقَرِّ بُـــؤْسٍ تَـــوَارَى عَـــنْهُ لاعِبَةَ الجُنُوبِ

أَجَـــابُـــوا فِيـــهِ دَاعِـــيَةَ الـــمَنَايَا لَـــقَدْ صَعُبَ النِّدَاءُ عَلَى المُجِيْبِ

---

[1] الديوان: 268.
[2] الديوان: 266.
[3] الديوان: 293.
[4] الديوان: 266.

ولا يخفي ما في هذه الأبيات من حيرة واغتراب وألم، كما أنها تشير إلى أنه فقد عددا من أفراد أسرته مبكرا.

ويدخل الخفاجي العشرينيات من العمر، وبدخولها يتجه صوب بناء مستقبله، فيمدح أمراء عصره لا لينال عطاياهم، ولكن لهدف أسمى وأعظم يناسب نفسه الطموح التواقة للمجد والإمارة، فهو يمدح لغرض اكتساب ود الأمراء وصحبتهم، يقول من قصيدة في مدح أحد الأمراء:

يَا جَامِعَ الحَسَنَاتِ إنَّ غَرَائِبِي تُهْدَى وَلَيْسَ سِوَى الوِدَادِ صَدَاقُ[1]

ويقول:

وَغَرِيْبَةٍ دَارَتْ وَمَا نَبْغِي بِهَا إلاَّ الوِدَادَ فَهَلْ إلَيْهِ سَبِيْلُ[2]

وبعد هذه المحاولات التي بذلها الخفاجي في التقرب من الأمير محمود بن نصر، وغيره ــ وهي كما وصفها جاءت بصعوبة عاما بعد عام ــ يهنأ له العيش وينعم بصحبة الأمراء يقول:

فَإنْ بَلَغَتْ إلَيْكَ بِيَ اللَّيَالِي فَقَدْ زَجَّيْتُهَا عَامَاً فَعَامَا[3]

وأخيرا بلغ مراده وأراد أن يركن لحياة مستقرة، وظن أن الدهر وهو عدوه اللدود قد غفل عنه، ولكن كان له الدهر بالمرصاد فأصابه بطعنة ظلت تنزف شهدا، حيث فجعه في صديقه أبي العلاء صاعد بن عيسى الكاتب، وما يكاد يتعافي من هذه الطعنة حتى يوجه له الدهر طعنة أعمق، تجعله كالمغشي عليه يترنح فاقدا الألم متمنيا منه المزيد، منصاعا للدهر، يقول من قصيدة في رثاء والدته:

مَاطِلْ بِصَرْفِكَ يَا زَمَانُ فَإنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي للصَّبَابَةِ مَوْضِعُ[4]

أوْ فَارْمِنِي بِسِهَامِ خَطْبِكَ جَاهِداً إنْ كَانَ فِي قَوْسِ الحَوَادِثِ مِنْزَعُ

لاَ سَالمَتْنِي النَّائِبَاتُ فَإنَّنِي ثَلْجُ الفُؤَادِ إذَا تَقُودُ فَأتْبَعُ

---

(1) الديوان: 123.
(2) الديوان: 177.
(3) الديوان: 602.
(4) الديوان: 258.

والمِنْزع ــ بكسر الميم ــ هو السهم. انظر لسان العرب: (نزع) 8/ 349.

وينهض من جديد، ويواصل تقربه من الأمير محمود حتى يكلفه هـذا الأميـر ـ بإيعاز من وزيره ابن النحاس صديق الخفاجي ـ ولاية قلعة عـزاز[1]، و لـم ترض نفسه الأبية الرضوخ لحكم الأمير، فحاول الاستقلال بهذه القلعة، وبقى بهـا إلى أن مات.

ـ ثقافته، ومراحلها:

رغم ما لمحناه من سعي الخفاجي وراء هذه النفس التواقة للمجد والسلطة، فإنه كان مهتما بتحصيل العلم منذ صباه إيمانا منه بأنه السبيل الحقيقـي لنيـل العـزة والمجد والخلود، فقرأ القرآن وأتقن حفظه في صباه، وهذه هـي أولـى مراحـل ثقافته، وأحد المؤثرات التي ستؤثر في شعره ، وبعد أن اشتد عوده أخذ ((يجوس خلال حلب، ويطمئن في رحابها، ويلوذ بعلمائها وأدبائها، ويأخذ عن شيوخها الذين هم بقية العصر الحمداني، وتلاميذ العباقرة من الشيوخ، ممـن درج علـى هـذه البقعة، كابن جني، والفارسي، وابن سينا، والمتنبي، والسلامي، وأبي فراس، فأراد الخفاجي أنْ يكون خلفاً لهؤلاء النوابغ، فملأ صدره بالعلم والمعرفة، وقرأ الشعر، وحفظ منه، وروى، ونظم، وأسمع غيره في حلقات الأدب، فأعجـب بـه مـن أعجب، وسر لنبوغه هؤلاء الوجهاء في حلب، فاحتضنوه، وعلـى رأسـهم هـذا الشريف المعتقل[2]))[3] وهذه المرحلة كانت مرحلة الدرس والقراءة والمعرفة، وهي التي أهلته لمرحلة النضج العلمي، وهي التي ألف فيها كتابه "سر الفـصاحة" ونظم فيها أروع أشعاره مستفيدا فيها ومطبقا لما جمعه من أولئك العلماء.

ـ شيوخه:

لعل أبرز شيوخ الخفاجي وأكثرهم تأثيرا في شخصيته هو أستاذه **أبـو العـلاء المعري**، ويذكر المؤرخون قصة حدثت في أول لقاء بين التلميذ وشيخه يستدلون بها على ذكاء أبى العلاء وفطنته، وأجد فيها مدحا للخفاجي ودليلا علـى حـسن تجويده للقرآن الكريم قبل تلمذته على أبي العلاء، وفيها يقولون: ((حُكي أن أبـا

---

(1) انظر زبدة الحلب من تاريخ حلب، تأليف المولى الصاحب كمال الدينأبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط1: 1/ 184.

(2) هو الشريف الهاشمي، وقد بعث له الخفاجي بقصيدة وهو في معتقله، سترد منها أبيات خلال البحث.

(3) قدماء ومعاصرون ، تأليف: سامى الدهان ، دار المعارف ـ عام 1961: 74.

محمد الخفاجي الحلبي دخل على أبي العلاء في المعرة، فسلم عليه، ولم يكن أبو العلاء يعرفه من قبل، فرد عليه السلام، وقال: هذا رجل طُوال، ثم سأله عن صناعته، فقال: أقرأ القرآن، فقال: اقرأ علي شيئا منه، فقرأ عليه عشرا، فقال: أنت أبو محمد الخفاجي الحلبي، فقال: نعم، فسئل عن ذلك، فقال: أما طوله فعرفته بالسلام، وأما كونه أبا محمد، فعرفته بصحة قراءته، وأدائه لنغمة أهل حلب، فإنني سمعت بحديثه)) [1] وكان تأثير هذا الشيخ واضحا جليا في شعر الخفاجي خاصة في شعره الفلسفي، وأشعاره التي جاءت على مذهب لزوم ما لا يلزم، وسأشير إلى ذلك أثناء البحث، وقد أشار الخفاجي إلى هذا الشيخ في مواضع متعددة من كتابه سر الفصاحة، وكان يشير إليه في هذا الكتاب بقوله: شيخنا أبو العلاء، وأحيانا بقوله: الشيخ. [2]

ومن شيوخه الشيخ **الحسن بن أحمد بن علي بن المعلم** ، وهو فقيه من فقهاء الشيعة له مصنفات ذكرها ابن العديم في ترجمته له وقال فيها: ((وقرأ عليه الفقه والأصول أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الحلبي وإياه عنى أبومحمد بقوله في القصيدة التي كتبها من القسطنطينية يعتب فيها أهله وأصدقاءه:

وَاقْرَا السَّلاَمَ عَلَى الفَقِيْهِ وَقُلْ لَهُ وَهْوَ العَتَادُ لِدَفْعِ كُلِّ مُلِمَّةِ[3])) [4]

وذكر ابن عساكر عند ترجمته للشاعر جماعة من شيوخه حيث قال: ((سمع بدمشق: أبا بكر الخطيب، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وإسماعيل بن علي بن زربي، وبالمعرة: أبا العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان، وبميافارقين: أبا الحسين بن المطيب، وأبا المكارم الأبهري، وبحلب: أبا نصر المنادي سنة سبع وثلاثين وأربع مائة، وأبا الحسين علي بن محمد الميمدي الكاتب، وأبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب الحلبي، وأبا القاسم سلمة بن علي بن سلمة، وأبا الفتح أحمد بن علي المدائني.)) [5]

---

(1) الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري، عن أبي العلاء المعري .لكمال الدين ابن العديم: 563.
(2) انظر سر الفصاحة:87، 119، 132، وغيرها.
(3) الديوان: 668، وروايته: "أنت العتاد" بدل: "وهو العتاد".
والفعل "اقرأ" بمعنى أبلغ السلام، ولكن الخفاجي خففه للضرورة.
(4) بغية الطلب في تاريخ حلب: 5 / 2277.
(5) تاريخ دمشق: 32 / 189.

ـ تشيعه:

قال الكتبي عند ترجمته للخفاجي: ((وكان يـرى رأي الـشيعة الإماميـة))[1]، ولهذا التشيع أثر واضح في شعره، ومما يدل على هذا قوله من قصيدة بعث بهـا من القسطنطينية لأصدقائه:

أَبْلِغْ أَبَا الحَسَنِ السَّلامَ وَقُلْ لَهُ هَذَا الجَفَاءُ عَدَاوَةٌ للشِّيعَةِ[2]

وقوله:

وَأُقْسِمُ مَا اسْتَجَدَّ الدَّهْرُ خُلْقاً وَمَـا عُـدْوَانُهُ إِلاَّ عَتِيْقُ[3]

أَلَـيْسَ يُـرَدُّ عَنْ فَدَكٍ عَلِيٌّ وَيَـمْلِكُ أَكْثَرَ الدُّنْيَا عَتِيْقُ

ـ آثاره العلمية:

كانت ثقافة الخفاجي متنوعة، وذلك ظاهر في شعره ، ولذلك تنوعت مؤلفاته، فقد ألف كتابا مشهورا في البلاغة، وهو "سر الفصاحة" أو سر الصناعة، وله ديوان شعر، هذا ما وصل إلينا من مؤلفات الخفاجي، و ذكرت له بعض كتب التـراجم كتبا أخرى لم تصل إلينا، وهي: كتاب الصرفة، كتاب الحكم بين الـنظم والنثـر، كتاب عبارة المتكلمين في أصول الدين، كتاب في رؤية الهـلال، كتـاب حكـم منثورة، كتاب في العروض. [4]

ـ وفاته:

عرفنا أن الخفاجي تمكن بعد مثابرة وصبر من تحقيق هدفـه، ووصـل إلـى الإمارة حيث تولى قلعة عزاز[5]، للأمير محمود بن نصر، ولكن نفسه الطموح لم تقنع، فأراد الاستقلال بالقلعة، مما دعا الأمير محمود بن نصر إلى تكليف وزيـره ابن النحاس بقتل الخفاجي، فرضخ الوزير للأمر، وسافر إلـى عـزاز، واجتمـع بصديقه الخفاجي، وناوله طعاما مسموما، فأكل الخفاجي الطعام، ثقة منه بـصديقه ابن النحاس، ولموته قصة طويلة أوردتها بعض الكتب[6]، وهكـذا اشـترك فـي

---

(1) فوات الوفيات: 2 / 220

(2) الديوان: 665.

(3) الديوان: 378.

(4) انظر الوافي بالوفيات: 17 / 272.

(5) عزاز ـ بفتح أوله وتكرير الزاي وربما قيلت بالألف في أولها: بليدة شمالي حلب فيها قلعة. انظر: معجم البلدان: 4 /118.

(6) انظرالوافي بالوفيات: 17/ 272.

القضاء علي الخفاجي أقرب أصدقائه إليه، بأمر من الشخص الذي سجل الخفاجي اسمه بأسطر من ذهب في شعره، وهذا مما يجعل الإنسان يكاد يعــذر الخفــاجي ويصدقه في قوله:

فَكُنْ لِبَنِي حَواءَ حَرْباً فَإِنَّمَا وَفَاؤُهُمْ غَدْرٌ وَوَصْلُهُم هَجْرُ[1]

وقوله:

وَلَسْتُ مِنْ ودِّ إِخْوَانِي عَلَى ثِقَةٍ فَكَيْفَ آمنُ حُسَّادِي وَأَقْتَالِي[2]

وكانت وفاته سنة ست وستين وأربعمائة. [3]

وهكذا أسدل التاريخ الستار على شاعر قل أن يجود الزمان بمثله، ولن أقول فيه أكثر من هذا لأنني أكاد اسمعه يصرخ بي عبر الزمن:

وَخَلِّ مَدْحِي إِذَا مَا ضَمَّنِي جَدَثِي فَلاَ انْتِفَاعٌ لِــتُرْبٍ فِيْهِ مُنْهَالِ[4]

2ــ ديوان ابن سنان الخفاجي، ومميزات شعره:

ــ ديوان الخفاجي:

لم يذكر كل من الصفدي في الوافي بالوفيات، ولا الكتبي في الفوات عليها ديوان ابن سنان ضمن مؤلفاته عند الترجمة له[5]، وقد أنشدوا له بعد ذ كر مؤلفاته أمثلة من شعره، ومن المرجح أن الصفدي لم يطلع على الديوان المجموع، أو أنه سها عن ذكره ضمن مؤلفات الخفاجي، لأن ابن خلكان الذي سبق الصفدي[6] أكــد أنّ له ديواناً مجموعاً في قوله عند ترجمته لمخلص الدولة ابن منقذ: ((ورأيت فــي ديوان ابن سنان الخفاجي الشاعر عقيب أشعار له في المذكور)) [7]

وللديوان نسخ مخطوطة منتشرة في أماكن متفرقة، ذكرها محققا الديوان، وقــد طُبع الديوان أولى طبعاته في المطبعة الأنسية ببيروت سنة 1898 بدون تحقيــق، ثم طبع في مطبعة المكتب الإسلامي ببيروت سنة 1988 بتحقيق د. عبد الرزاق حسين، وطبع أخيــرا بمجمــع اللغــة العربيــة بدمــشق ســنة 2007 بتحقيــق

---

(1) الديوان: 672.
(2) الديوان: 392
(3) انظرالوافي بالوفيات: 17/ 272
(4) الديوان: 393.
(5) انظر: انظرالوافي بالوفيات: 17/ 272، فوات الوفيات: 2/ 222.
(6) توفي ابن خلكان سنة 681 هـ ، وتوفي الصقدي سنة 764.
(7) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 5 / 270.

د. مختار الأحمدي، و د. نسيب نشاوي، وهذه هي الطبعة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

وقد اشتمل الديوان على مجموعة قصائد ليست للخفاجي، وإنما هي مراسلات وردود من بعض أصدقائه ولم أدخل هذه القصائد ضمن البحث، لأنها لا تمثل شعر الخفاجي الذي هو موضوع البحث.

ـ سمات شعر الخفاجي:

غلب على شعر الخفاجي غرض المدح، ولكنه كما أشرت لم يكن من أجل التكسب، وقد بلغ عدد قصائد هذا الغرض عند الخفاجي ستا وثلاثين قصيدة من مجموع الديوان، وكانت أغلبها في مدح الأمير محمود بن نصر، كما يوجد بشعره الإخوانيات والرثاء والفخر والغزل والحنين والحكمة، وغير ذلك، وظهر في شعر الخفاجي أثر ثقافته الواسعة، ومدى تأثره بأستاذه أبي العلاء المعرى.

والخفاجي ناقد مشهود له في هذا المجال قبل أن يكون شاعرا، لذلك حرص كل الحرص على أن يأتي شعره خاليا من العيوب، وأن تكون ألفاظه سهلة بعيدة عن الغريب والوحشي، وأن يحافظ على ما سجله النحاة من قواعد ، فجاء بناء أغلب الجمل فيه موافقا لما يراه النحاة، وعرف كيف يستفيد من علمه في مجال البلاغة بلا إفراط ولا تفريط، مما يحس معه القارئ بأن التعبير جاء عفوا دون تكلف، ومما قيل في شعر الخفاجي: ((وشعره مما يدخل الأذن بغير إذن.)) [1].

ثانيا الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث:

1ـ الدراسات السابقة حول الشاعر وشعره:

لم يكن ابن سنان الخفاجي مغمورا فقد عرف بكونه من علماء البلاغة، وذلك من خلال كتابه سر الفصاحة، وترجمت له العديد من كتب التراجم، كما عرّف به محقق سر الفصاحة، ومحققا الديوان، وتناول عبدالمنعم خفاجي حياة هذا الشاعر في كتاب "شاعر وكتاب" الذي ((تحدث فيه عن حياة ابن سنان وذكر نماذج من

---

[1] الأنساب للسمعاني، تأليف: عبد الكريم بن محمد، تح: عبدالرحمن يحيى اليماني، منشورات محمد أمين دمج، بيروت، 1981: 5/ 155..

شعره، ثم عرض لكتاب سر الفصاحة، وأحصى ما كتب عنه من مقـالات.)) [1] ولم يتسن لي الاطلاع على هذا الكتاب، وقامت على كتابه سر الفصاحة العديد من الدراسات، ولكن شعره لم يحظ بالدراسة الكافية، ولم تُجرَ عليه حسب اطلاعـي سوى رسالة واحدة بعنوان "ابن سنان الخفاجي شاعرا" وهي رسالة ماجستير مـن إعداد: عبير عيسى عبدالعال، إشراف أ. د: شاهيناز همام محمد كلية الدراسـات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، شـعبة اللغـة العربيـة قـسم الأدب والنقـد سنة 2004، وهذه الرسالة وإن كان عنوانها يوحي بأنها دراسة حيـاة الخفـاجي لإثبات كونه شاعرا، إلا أنها درست شعر الخفاجي دراسة أدبية.

2ــ الدراسات السابقة حول الموضوع:

هذه الرسالة هي الأولي في دراسة شعر الخفاجي دراسة نحوية، وإن لم تكـن هي الأولى في موضوعها العام، فهي امتداد لكم هائل من البحوث التي تحـاول الدمج بين النحو والمعنى، وتسعى إلي التأكيد على تعانقهما ((تعانقا حميما بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقـوم عليـه النص.)) [2]

و قد اطلعت على عدد كبير من الرسائل العلمية التي خاضـت هـذا المجـال، اذكر منها:

ــ بناء الجملة عند العذريين، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: عبيـر سالم البالول، إشراف: د. محمد حماسة، سنة 2006. دار العلوم القاهرة.

ــ بناء الجملة في شعر الخنساء، بحث لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: زكريا إبراهيم زكي محمد، إشراف: د. علي أبو المكارم، سنة: 2006، دار العلوم القاهرة.

ــ البناء النحوي في شعر مانع العتيبة ودوره الدلالي ، بحث مقدم لنيـل درجـة الدكتوراه، إعداد: حنان أحمد عبد الله الفيـاض، إشـراف: د. شـعبان صـلاح، سنة 2008، دار العلوم القاهرة.

---

[1] ابن سنان الخفاجي شاعرًا رسالة ماجستير من إعداد: عبير عيسى عبدالعال، إشراف أ. د: شاهيناز همام محمد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة: 4 .

[2] النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، تأليف: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط2/ 1974: 39.

ـ بناء الجملة في شعر علي الفزاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد: محمد سالم العابر، إشراف: د. أحمد كشك، 2010، دار العلوم القاهرة.

ـ الجملة في شعر فاروق جويدة ،دراسة نحوية دلالية، رسالة دكتوراه، إعداد: نضال سليمان القطامين، إشراف: أ.د. شعبان صلاح، ود. مصطفى عراقي، 2011، دار العلوم القاهرة .

ـ شعر أحمد محرم، دراسة نحوية دلالية، رسلة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النحو والصرف والعروض، إعداد: محمد السيد أحمد سعيد، إشراف: د. أحمد كشك، 2007، دار العلوم القاهرة.

ـ أساليب التوكيد في أدب الرافعي، دراسة نحوية دلالية، بحث مقدم من الطالبة: فاطمة حسين السيد، لنيل درجة الماجستير، إشراف: أ.دشعبان صلاح، د. زينب شافعي عبد الحميد، 2009، دار العلوم، القاهرة.

ـ البناء النحوي في شعر نزار قباني، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إعداد: حسين محمد أبوزيد، إشراف: د. شعبان صلاح، سنة 2011، دار العلوم القاهرة.

الفصل الأول:

الجملة بين البساطة والتركيب في شعر الخفاجي